# النصرانية وعبادة الشمس

دخلت عقيدة الأم الكبرى والابن الفادي إلى روما باسم «سيبيلي» Cybele و«آتيس» Attis . فـ«آتيس» يبدو في الأساطير ابناً تارة وزوجاً تارة أخرى . وكان ممن روَّج لهذه العقيدة بين النصارى - كما يفصل «هايام ماكَبي» في كتابه «صانع الأسطورة»[1] - «شاول» اليهوديُّ الذي عُرف بعد اعتناقه النصرانية باسم «بولس» .

كان هذا اليهودي من سكان «طرسوس» بآسيا الصغرى حيث كانت تنتشر عبادة «بعل» باسم «آتيس» . لكن «بولس» كان فريسياً أي منحدرا من كهنة فارس الذين أسهموا في بناء الهيكل الثاني وأعادوا عبادة «بعل وعشتار» في بيت المقدس . يقول «بولس» عن نفسه : "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ"[2] ويقول "وَأَنَا مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ

(1) Maccoby, Hyam. *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity* (Barnes & Noble Publishing, 1998), pp. 16, 102, 107, 196.

(٢) أعمال الرسل ٢٢ : ٣ .

الْعِبْرَانِيِّينَ؛ وَمِن جِهَةِ الشَّرِيعَةِ، أَنَا فَرِّيسِيٌّ.»[1] بل إنه كان من المتبحرين في «اليهودية» كما قال عن نفسه: "... كُنْتُ مُتَفَوِّقاً فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ جِيلِي فِي أُمَّتِي لِكَوْنِي غَيُوراً أَكْثَرَ مِنْهُمْ جِدّاً عَلَى تَقَالِيدِ آبَائِي[2]".

وهو إلى كونه يهودياً فريسياً عميلٌ من عملاء الروم، بل كان روميا بالولادة. يقول سفر «أعمال الرسل»: "فَذَهَبَ الْقَائِدُ بِنَفْسِهِ إِلَى بُولُسَ وَسَأَلَهُ: «أَأَنْتَ حَقّاً رُومَانِيٌّ؟» فَأَجَابَ: «نَعَمْ!» ٢٨ فَقَالَ الْقَائِدُ: «أَنَا دَفَعْتُ مَبْلَغاً كَبِيراً مِنَ الْمَالِ لأَحْصُلَ عَلَى الْجِنْسِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ». فَقَالَ بُولُسُ: «وَأَنَا حَاصِلٌ عَلَيْهَا بِالْوِلاَدَةِ!»[3]".

والحق أن «بولس» هذا لم يعتنق النصرانية كما يزعم هو أو يزعم تلميذه «لوقا» بل تظاهر باعتناقه النصرانية ليفسدها،[4] وهذا ما تؤكده الوثائق الكنسية القديمة الذي تنص على أن شاول (أي بولس) هو الذي قتل «يعقوب» - إمام النصارى في القدس والملقب بـ«أخي يسوع [عيسى عليه السلام]» - بُغية القضاء على ما تبقى من نصرانية بعد رفع المسيح عليه السلام[5].

نذر «بولس» القسم الأول من حياته لاضطهاد أتباع المسيح عليه السلام،

---

(١) فيلبي ٣: ٥

(٢) غلاطية ١: ١٤

(٣) أعمال ٢٢: ٢٧

(٤) مثل هذا صنيعُ عبد الله بن سبأ الذي "لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولص [بولس] بدين النصارى." «منهاج السنة» ٨/ ٤٧٩.

(5) Eisenman, Robert. *James the Brother of Jesus* (New York: Penguin Books, 1997), p. 466.

ولم يتظاهر باعتناق النصرانية إلا بعد أن عجز عن القضاء على أتباعها الذين كانوا يشكلون «جماعة القدس». ثم تسنى له عرض إنجيله الخاص به والذي نذر له ما تبقى من حياته. وكان هذا الإنجيل المزعوم هو الذي تناقله كُتَّاب الأناجيل الأربعة بالإضافة إلى ما بلغهم من تراث شفهي. قال عن إنجيله:

"٦ عَجَباً! كَيْفَ تَتَحَوَّلُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ السُّرْعَةِ عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ، وتنصرفون إلى إنجيل غريب؟ ٧ لاَ أَعْنِي أَنَّ هُنَالِكَ إِنْجِيلاً آخَرَ [غير إنجيلي]، بَلْ إِنَّمَا هُنَالِكَ بَعْضُ (الْمُعَلِّمِينَ) الَّذِينَ يُثِيرُونَ الْبَلْبَلَةَ بَيْنَكُمْ، رَاغِبِينَ فِي تَحْوِيرِ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ. ٨ ولكن، حتى لو بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ، أَوْ بَشَّرَكُمْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِغَيْرِ الإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْنَاكُمْ بِهِ، فَلْيَكُنْ مَلْعُوناً! ٩ وَكَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْنَا، أُكَرِّرُ الْقَوْلَ الآنَ أَيْضاً: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِإِنْجِيلٍ غَيْرِ الَّذِي قَبِلْتُمُوهُ، فَلْيَكُنْ مَلْعُوناً! ١٠ فَهَلْ أَسْعَى الآنَ إِلَى كَسْبِ تَأْيِيدِ النَّاسِ أَوِ اللهِ؟ أَمْ تُرَانِي أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ لَوْ كُنْتُ حَتَّى الآنَ أُرْضِي النَّاسَ، لَمَا كُنْتُ عَبْداً لِلْمَسِيحِ! ١١ وأُعْلِمُكُمْ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَّ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ لَيْسَ إِنْجِيلاً بَشَرِيّاً. ١٢ فَلاَ أَنَا تَسَلَّمْتُهُ مِنْ إِنْسَانٍ، وَلاَ تَلَقَّنْتُهُ، بَلْ جَاءَنِي بِإِعْلاَنٍ مِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ"(١).

## «قسطنطين» والنصرانية:

كانت النقلة الأخرى في عقائد النصارى في مستهل القرن الرابع الميلادي عندما تظاهر الإمبراطور «قسطنطين الأول» المعروف بـ«الكبير» باعتناقه النصرانية ليكسب إلى جانبه النصارى من رعيته إبان تنافسه مع «ماكسنتيوس» على الإمبراطورية. زعم «قسطنطين» أنه رأى في منامه صورة صليب مكتوب

(١) غلاطية ١: ٦-١٢

عليه بالرومية *In Hoc Signo Vinces* وتعني «بهذه العلامة تغلب». فلما أصبح أمر الجنود بوضع صورة الصليب على التروس. وليس الصليب في الحقيقة سوى أحد الرموز الوثنية التي تمثل الشمس. يقول الكاتب والفلكي «ويليام تايلر أولكوت» في كتابه «التقاليد الشمسية في كل العصور»:

> كثير من الرموز الباطنية المألوفة لدى الوثنيين تتجلى اليوم، "ورجل الكنيسة الأعلى يزين قصره الذي يعمل فيه برموز مماثلة لتلك التي بعثت الرهبة والإجلال في قلوب عُبّاد آشور، عشتار أو الشمس." يترأس هذه الرموزَ الشمسيةَ الكنسيةَ الصليبُ الذي هو شعار العقيدة النصرانية، وهو رمز سابق لميلاد المسيح وترجع أصوله إلى عبادة الشمس. فهو يُرى على آثار وأواني كل الشعوب البدائية، من الصين إلى يوكاتان [بالمكسيك][1].

لكن قسطنطين بتلك الحيلة استطاع كسب قلوب النصارى فانضموا إلى جيشه وانتصر على منافسه «ماكسنتيوس» Maxentius في معركة «جسر ميلفيوس» Milvian Bridge.

كانت عقيدة الأباطرة الروم هي عبادة الشمس. ولم يكن «قسطنطين» بدعاً منهم بل كان وثنيا يعبد إلهاً شمسياً يعرف باسم *Sol Invictus* «الشمس التي لا تقهر»، وهو إحدى صور «بعل». تقول مؤلفة «ظهور النصرانية»:

> في القرن الأول الميلادي حوَّل «فسباسيان» تمثال «نيرون» العظيم

(1) Olcott, William Tyler, *Sun Lore of All Ages* (New York: G. P. Putnam's Sons, 1941), pp. 229-300.

ليمثل *Sol* «الشمس». وفي القرن الثاني تُوِّج «هيكل هادريان» . . . بقبة تمثل السماواتِ، في وسطها فتحة تمثل جرم الشمس وتدعى «هليوس»، المقابل الإغريقي لـ«الإله الشمس». وفي القرن الثالث قام «أورليان» - وهو تابع مخلص لإله الشمس الشرقي «بعل» - برفع هذا الإله المسمى *Sol Invictus* «الشمس التي لا تقهر» إلى مستوى معبودِ الدولة الرسمي الإمبراطوري إمتناناً لانتصاره العسكري على «تَدمُر»[1].

**صور رقم (٩-١٠): الإله الشمس *Sol Invictus* الذي عبده أباطرة الروم يصبح رمزاً للحرية!**

(1) White, Cynthia. *The Emergence of Christianity* (Greenwood Publishing Group. 2007), p. 45.

اختار «قسطنطين» يوم الأحد ليكون عيدا للنصارى بدل يوم السبت الذي كان عيد اليهود قبلهم. وعرف يوم الأحد باسم *Dies Solis* أي «يوم الشمس» وانتقل هذا المفهوم إلى الانجليزية Sun-day بنفس المعنى.

كما عُقد «مجمع نيقية» عام ٣٢٥م وفيه قُنِّنت عقائد النصرانية المحرفة واختير من أسفار النصارى ما كان على نسق الوثنية الباطنية وأما بقية الأسفار فأخفيت أو أتلفت، وكانت هذه البداية الأولى للكنيسة الرومية الكاثوليكية. فأما تسميتها بالرومية فلأنها في روما، وأما تسميتها بالكاثوليكية فلأنها تزعم سلطانها الشامل لكل نصارى المعمورة، فـ«كاثوليكوس» *katholikos* كلمة إغريقية تعني «شامل».

تبنت الكنيسةُ الروميةُ الوثنيةَ الفرعونيةَ المتمثلة في عبادة «ايزيس» و«حورس» وهما الشكل الفرعوني لعبادة «بعل وعشتار». وإمعاناً من الكنيسة في التأكيد على هذه الوثنية صُوِّر المسيح عليه السلام وأمه على الهيئة التي صور بها «حورس» إله الشمس الفرعوني وأمه «إيزيس».

ولم يكن هذا الاقتباس من الوثنية من قبيل المصادفة كما قد يظن البعض، بل تم بشكل متعمد كما يشهد بذلك مشاهير العلماء. ففي دراسة بعنوان «Mary» (أي «مريم») قام بها ستة من نخبة علماء «الكتاب المقدس» في العالم ونشرتها الـ BBC على موقعها، يؤكد هؤلاء العلماء أنه "في أثناء انتشار النصرانية في الإمبراطورية [الرومية]، **يبدو جلياً أنها أخذت عمداً تصاوير من العالم الوثني** الذي عاشت فيه." ثم تذكر الدراسة أنه "... في مصر تمت إعادة تصميم أحد أضرحة «إيزيس» **بشكل متعمد** وواعٍ ليكون

ضريحاً لمريم[1]".

ثم أضفت الكنيسة جميع صفات «إيزيس» (أو عشتار) على مريم عليها السلام. فلقبتها بـ«ملكة السماء» وهو اللقب الذي منح لشتى أشكال «عشتار». نقرا في إحدى الترانيم الكنسية المسماه «ملكة السماء» مخاطِبة مريم عليها السلام: " يا «ملكة السماء» ابتهجي - هللويا !"

**Queen of Heaven**
***(Regina Coeli)***

O Queen of Heaven, rejoice, alleluia.
For he whom you were privileged to bear, alleluia.
Has risen as he said, alleluia.
Pray for us to God, alleluia.
Rejoice and be glad, O Virgin Mary, alleluia.
For the Lord has truly risen

كذلك لقبتها الكنيسة بلقب «إيزيس» الشهير «نجمة البحر» *Stella Maris* بل سميت بعض الكنائس الكاثوليكية بهذا الاسم. فلم يبق لمريم عليها السلام من صفات «إيزيس» إلا أن تكون زوجة «حورس» أو «بعل» وأن تكون «بغياً»، وهي التي أحصنت فرجها - ألا لعنة الله على اليهود النصارى.

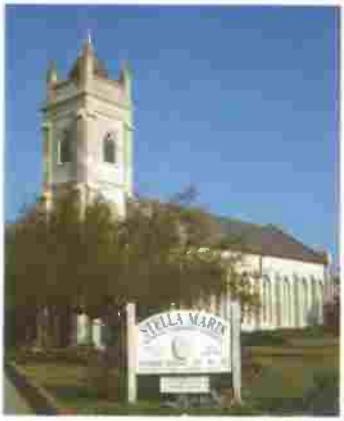


صورة (١١): ترنيمة تخاطب مريم عليها السلام بـ«ملكة السماء».

صورة (١٢): كنيسة كاثوليكية تسمى «نجمة البحر».

(1) http://www.bbc.co.uk/religion/religions/christianity/history/virginmary_1.shtml

فلمَّا لم تستطع الكنيسة الرومية الوثنية البَوح بهذا نسبت هذه الصفات لمريم الأخرى التي تدعى بـ«المجدلية». ومريم هذه يصورها «العهد الجديد» بغِياً في أول أمرها، ثم تابت بعد أن أخرج منها «يسوع» (عيسى عليه السلام) الشياطين وكانت محبوبة لديه. أما الأسفار الغنوصية (الباطنية) - كـ«إنجيل فيليب» The Gospel of Philip الذي اكتشف في «نجع حمادي» - فمنها ما يلمح إلى علاقة زوجية بين الاثنين.

ثم جاء «دان براون» في روايته الشهيرة «شيفرة دافنتشي» The Da Vinci Code - وقبله مؤلفو «الدم المقدس والكأس المقدسة» - ليؤكد زواج مريم المجدلية من المسيح عليه السلام وأن سلالتهم «الميروفِنجية» The Merovingian Dynasty هي سلالة ملوك الروم في أوروبا. وهذا لا يعدو محاولة بائسة لنسبة الأبطال إلى آلهتها - كما فعل الوثنيون من قبلهم - وتلفيقاً للجانب الذي لم تستطع الكنيسة الجهر به من كون «مريم» و«عيسى» عليهما السلام في نظر الكنيسة الرومية «أمٌّ وابن» و«زوجة وزوج» في آن معاً. وإن

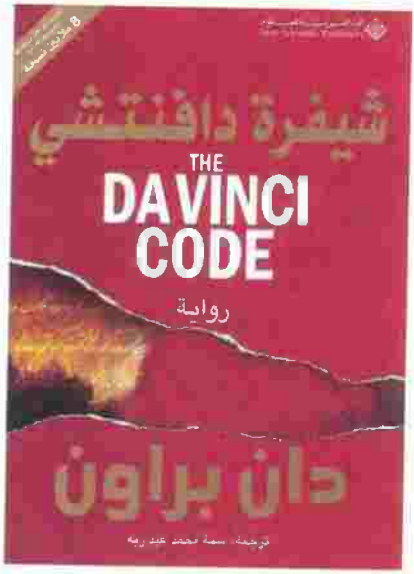


صورة (١٣): الترجمة العربية لكتاب «شيفرة دافنتشي».

شئت فقل: هما مجرد رمز لعبادة «إيزيس وحورس» أو «بعل وعشتار». فالثالوث المصري الذي كان يتألف من الأب «سِب» والأم «إيزيس» والابن «حورس» انتقل إلى روما على صورة الأب «الآب» والأم «مريم» والابن «يسوع».

وقد أشار القرآن في غير ما موضع إلى تأليه النصارى لمريم وابنها - عليهما السلام - كليهما. ثم نجد من يشعر بالحرج عندما يرُد عليه أحد الروم بقوله "نحن لا نعبد مريم." فيلجأ المسلم إلى "حل وسط" وينسب هذه العبادة إلى بعض طوائف النصارى التي كانت تقطن جزيرة العرب أثناء تنَزُّل الوحي. وهذا موقف المنهزم الذي لا يعرف حقيقة عبادة النصارى. قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴿٧٣﴾ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴿٧٤﴾ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴿٧٥﴾ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴿١١٦﴾ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴿١١٧﴾ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

أما المسيح عليه السلام فلقبته الكنيسة صراحة بـ«شمس العدل» Sun of Justice كما تشير إلى ذلك «**دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة**» بقولها:

" . . . منذ بداية القرن الثالث الميلادي يظهر «شمس العدل» لقباً للمسيح "[1]. وأصبح ميلاده في الخامس والعشرين من ديسمبر وهو التاريخ الذي ولد فيه «تموز» و«بعل» و«حورس» الخ. فهل كل هذا من قبيل الصدفة؟

كذلك صُوِّر عرشُ البابا المسمى «كرسي القديس بطرس» على هيئة شمس، وعاد الباباوات يسُكُّون صورة «الإله الشمس» على نقودهم. ولا تكاد تخلو صور المسيح وأمه من هالة خلف الرأس تمثل قرص الشمس. لكن أبرز ما في هذا كله أن الفاتيكان أحضر إحدى «مسلات» الفراعنة لينصبها في قلب «ساحة القدس بطرس» وهي كما أسلفت شاهد على عبادة الشمس.

**صورة (١٤): مسلة فرعونية في قلب الفاتيكان.**

(1) *Wikipedia*. "Sol Invictus" <http://en.wikipedia.org/wiki/Sol_Invictus#cite_ref-14>

صورة (١٥): كرسي القديس بطرس (عرش البابوية) على هيئة شمس مشرقة.

صورة (١٦): «الإله الشمس» على نقود البابا وات، ويلاحظ أنه لا يختلف عن صورة «تمثال الحرية» على الدولار الأمريكي الجديد.

أما القُداس الذي يعرف بـ«الإفخارستيا» Eucharist (أي «الشكر») فهو أحد طقوس عبادة الشمس التي عرفت بين الأمم السالفة. لذا نجد صورة الشمس ممثلة إما في رقاقة الفطير التي ترفع تمجيداً أمام الحضور، وإما في سبع شمعات تمثل الوسطى منهن «جرم الشمس» وتمثل البقيةُ الكواكب السيارة الستة التي أشار إليها الإمام ابن كثير فيما نقلته عنه. وقد تستبدل بالشمعة الوسطى صورة للشمس أو للصليب الذي هو في أصله الوثني السابقِ للنصرانية رمزٌ للشمس كما سبق.

صورة (١٧): خبزة القداس إحدى صور الإله الشمس.

صورة (١٨): قداس نصراني يظهر فيه انكسار الكهنة أمام صورة الشمس.

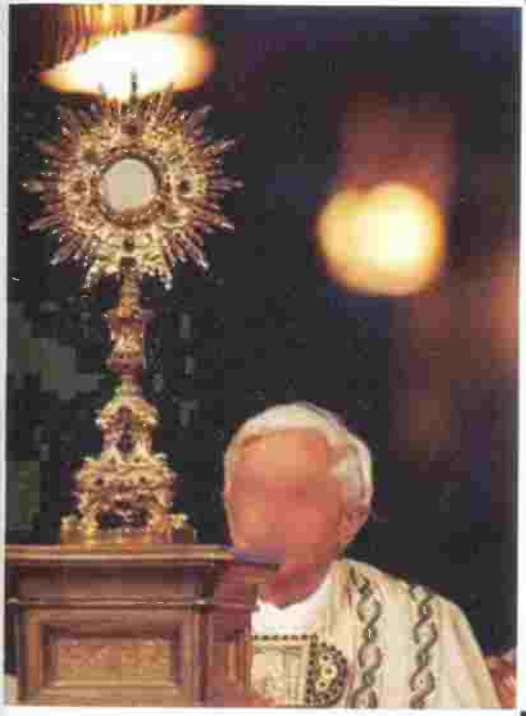

صورة (١٩): البابا يصلي أمام صورة الشمس.

صورة(٢٠):البابا وخلفه شمعات القداس التي تمثل الشمس والكواكب السيارة الستة.

وهذه الشمعات لا تختلف في شكلها ومضمونها عن الـ«منوراه» - الشمعدان اليهودي الذي يستبدل بالشمعة الوسطى أحياناً النجمة السداسية التي تعرف بـ«نجمة داود»، وإنما هي رمز للشمس.

**صورة (٢١): الشمعدان اليهودي تعبيرٌ عن الشمس والكواكب السيارة.**

إذن فـ«تموز» و «مولك» و«حورس» و«لوسيفر» و«سول إنفِكتُس» (الشمس التي لا تقهر) و«يسوع» الكنيسة الرومية مجرد أسماء مختلفة للمعبود الكنعاني «بعل».

## نشأة تنظيم «فرسان مالطة»[1]:

في عام ١٠٩٤م شن البابا «أوربان الثاني» الحملة الصليبية الأولى التي كان هدفها الأول الاستيلاء على الأرض المقدسة. وكان مما شجع النصارى على المشاركة فيها سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوروبا في أواخر القرن

(1) Phelps, Eric J. *Vatican Assassins*, 2nd Ed. (Newmanstown, PA: Eric John Phelps, 2004), p. 254.

الحادي عشر. وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى، ولعل هذا كان سببا في أن نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين.

وقبل استيلاء الصليبيين على بيت المقدس عام ١٠٩٩م تأسس «تنظيم القديس يوحنا» الذي أصبح يعرف بـ«تنظيم مالطة العسكري المستقل» أو «فرسان مالطة» اختصاراً. وبناء على المرسوم الكنسي الذي أصدره البابا «باسكال الثاني» عام ١١١٣م انضوى التنظيم رسمياً تحت راية الكنيسة ومنح صلاحية اختيار رؤسائه خلفاً لـ«جيرارد المبارك»، كما أُعفي من دفع رسوم وضرائب كانت تدفعها التنظيمات الأخرى. وكانت مهمة التنظيم الأولى رعاية المرضى والجرحى ولذا عرف باسم «الإسبتارية» وهي تسميته في كتب التاريخ الإسلامي. ولكن بعد أن أصبح «فرا[1] ريموند دو بوي» رئيساً و«سيداً» للتنظيم توجه التنظيم إلى السلك العسكري ليكون حامياً للأراضي التي كان الصليبيون قد استولوا عليها. وبهذا جمع التنظيم بين الأعمال "الخيرية" والعسكرية. وكان الداخلون في التنظيم يؤدون ثلاثة نذور هي «الطاعة» و«التبتل» و«الفقر»، وكان «فرا ريموند دو بوي» هو الذي اختار للتنظيم شعاره الذي يدعى «صليب مالطة».

وفي عام ١٢٩١م وبعد أن خسر الصليبيون «عكا» استقر فرسان مالطة مؤقتاً في قبرص. لكن الصلاحيات التي منحت للفرسان من قبل البابا والتي كان منها استقلالهم عن جميع الدول باستثناء الكرسي الرسولي وكذا السماح

(١) فرا Fra: لقب كنسي مختصر عن الكلمة الإيطالية *frate* وتعني «أخ».

لهم بتكوين قوة عسكرية وشن الحروب جعلت من فرسان مالطة كياناً مستقلاً. وفي ١٣١٠م استولوا على جزيرة «رودس» وكان رئيسهم إذ ذاك «فرا فولك دي فيلاريه» فأصبح فرسان مالطة يعرفون كذلك باسم «فرسان رودس» نسبة إلى الجزيرة. ثم قُسم أعضاء التنظيم الذين توافدوا من أقطار أوروبا إلى سبع مجموعات - ثم ثمان - حسب اللسان الذي يتحدثه العضو وكل مجموعة كان لها «أديرة» و«أديرة عظمى» و«إمارات». ثم أصبح لهم أسطول كبير في البحر المتوسط شارك في كثير من المعارك ضد المسلمين.

وفي عام ١٥٢٢م هزمهم السلطان سليمان القانوني وفقدوا سيادتهم، فتنازل لهم الإمبراطور «تشارلز الرابع» عن بعض الأقاليم. وفي عام ١٥٣٠م استولى سيدهم الأعظم «فرا فيليب دي فيلييه» على مالطة التي أصبحت وطناً لهم، وعرفوا منذ ذلك الحين باسم «فرسان مالطة». وفي عام ١٦٠٧م ثم ١٦٢٠م اجتمع لزعيم التنظيم لقبا «السيد الأعظم» و«أمير الإمبراطورية الرومية المقدسة». وبقي بهم الحال كذلك حتى نفاهم «نابليون بونابرت» عام ١٧٩٨م وهو في طريقه إلى مصر. ولهذا مزيد بيان في موضعه إن شاء الله.

## نشأة تنظيم فرسان الهيكل:

بعد أن استولى الصليبيون على بيت المقدس عام ١٠٩٩م بدأ "حجاج" النصارى - على حد دعواهم - يتوافدون على «بيت المقدس» لكن السبل إليه لم تكن تخلوا من مخاطر، فكان لا بد من تأمين طريق الحجاج إلى بيت المقدس. عندها اجتمع عام ١١١٩م اثنان من المحاربين الصليبيين أحدهما

الفارس الفرنسي «هيوز دي بايان» والآخر قريبه «جودفري دي سان أومير» واقترحا إيجاد «تنظيم» لحماية الحجيج. وافق الملك «بولدوين الثاني» على الاقتراح واقتطع لهم من أرض «المسجد الأقصى» لبناء قاعدة لهم. ولتسميتهم المسجد الأقصى «هيكلاً» عرفوا باسم «فرسان المسيح وهيكل سليمانَ الفقراء» أو «فرسان الهيكل» اختصاراً، كما يُعرفون في المصادر العربية باسم «الداوية» ويذكرون غالباً إذا ذكر «الإسبتارية» - فرسان مالطة.

لكن فقر فرسان الهيكل لم يطل فقد أسهم القديس «برنارد دي كليرفو» - الذي كان ذا مكانة في الكنيسة - في حصولهم على اعتراف رسمي من قبل الكنيسة في مجمع «تروي» عام ١١٢٩م. وبهذا حصل لتنظيم فرسان الهيكل من الامتيازات ما يشبه تلك الامتيازات التي حظي بها فرسان مالطة، خصوصاً أن هذا التنظيم كان تنظيماً عسكرياً منذ نشأته فكان بمثابة الخط الأول للدفاع عن البقاع المقدسة بعد أن استولى عليها النصارى. لكن فرسان الهيكل امتازوا كذلك بالاشتغال بما يشبه الصرافة وأصبحوا يمتلكون ثروة كبيرة بالإضافة إلى التبرعات التي كانت تعطى لهم، حتى إنهم أسسوا شبكة من الصيارفة وأرباب المال في أوروبا كلها.

ولكن بعد أن هيأ الله لأهل الإسلام من يذب عن حياضه وأذل النصارى على يد صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - في معركة حطين عام ١١٨٧م خسر الفرسان قاعدتهم في بيت المقدس فترددوا بين «عكا» ثم «طرطوس» بالشام ثم «ليماسول» بقبرص حيث انتقلت قاعدتهم.

لكن نفوذ فرسان الهيكل كان أقوى من أن يبدده انتقال القاعدة من مكان

لآخر، فقد شكلت الحروب الصليبية بالنسبة لهم مصدر ابتزاز من عامة الشعب المتعاطف مع فرسانه. تقول «نستا وبستر» نقلاً عن الكاتب الماسوني «بارون تشودي» Baron Tschoudy:

> الحرب التي كانت بالنسبة لأكثرية المحاربين مصدر إعياء وخسائر ومصائب، أصبحت بالنسبة لهم [فرسان الهيكل] مجرد فرصة للغنائم والتعالي. ولئن كانوا ميزوا أنفسهم بأعمال باهرة قليلة فإن الدافع لهم لم يعد أمراً مشتبهاً فيه بعد أن رُؤوا يغتنون بغنائم حلفائهم، ويزيدون رصيدهم بقدر ما أمكنهم، ويتعالون لدرجة تضاهي الملوك ذوي التيجان في الأبهة والعظمة . . . وأخيراً يتحالفون مع ذلك الزعيم الفظيع المتعطش للدماء المدعو شيخ الجبل، زعيم الحشاشين[1].

وهذا التحالف بين فرسان الهيكل والحشاشين جدير بالمناقشة، لكن سأكتفي هنا بالإشارة إلى أمرين اثنين. أحدهما: أن مُظاهرة الحشاشين للصليبيين ثابتة في كتب التاريخ الإسلامي بل أشيرَ إليها في مصادر أجنبية عديدة[2]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في جوابِ سؤالٍ عن إحدى الفرق الباطنية:

---

(1) Webster, Nesta. *Secret Societies and Subversive Movements* (BiblioBazaar, LLC. 2008), pp. 73-74.

(٢) انظر على سبيل المثال تفصيلاً لهذه العلاقة في كتاب «تاريخ الماسونية الخفي» The Secret History of Freemasonry لمؤلفه «بول نودون» Paul Naudon.

. . . من المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم. وهم دائما مع كل عدو للمسلمين؛ فهم مع النصارى على المسلمين. ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله تعالى - النصارى على ثغور المسلمين؛ فإن ثغور المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فتحها معاوية بن أبي سفيان إلى أثناء المائة الرابعة، فهؤلاء المحادّون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك. ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد وصلاح الدين وأتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى وممن كان بها منهم وفتحوا أيضا أرض مصر فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية. ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم؛ فإن مُنجِّم «هولاكو» الذي

كان وزيرهم وهو «النصير الطوسي» كان وزيراً لهم بالألموت وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء[1].

الأمر الآخر أن بعض الباحثين يرى في فرقة الحشاشين الباطنية مصدراً للتنظيمات السرية التي ظهرت بعدها في الغرب سواء عقيدة فرسان الهيكل أو الماسونية أو غيرهما. وهذه المسألة بحاجة إلى بحث مفصل وليس هذا موضع التفصيل. لكنّ قراءة فاحصة لعقائد الحشاشين تؤكد اتحاد المصدر سواء كان هذا المصدر قريباً أم بعيداً. فأبو حامد الغزالي مثلاً يذكر في كتابه «فضائح الباطنية» سبب تسمية هذه النحلة الباطنية بـ«السبعية» فيقول:

وأما السبعية فإنما لقبوا بها لأمرين. أحدهما: اعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر لها قط. والثاني: قولهم إن تدابير العالم السفلي - أعني ما يحويه مقعر فلك القمر - منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر. وهذا المذهب مسترق من ملحدة المنجمين وملتفت إلى مذهب الثنوية في أن النور يدبِّر أجزاءه[2] الممتزجةَ بالظلمة بهذه الكواكب السبعة...[3].

---

(١) مجموع الفتاوى، ج ٣٥، ص ٩١.

(٢) في المطبوع "أجزاؤه".

(٣) أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٢ هـ) ص ٢٥.

وهذا الذي ذكره من اعتقادهم بأن تدابير العالم السفلي منوطة بالكواكب السبعة هو عين ما يُنصب لأجله الشمعدان «المنوراه» عند باطنية اليهود، ويقام له قداس نصارى الروم كما سبق بيانه. يقول شيخ الإسلام في سياق كلامه الذي أوردته أعلاه:

. . . وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض . . . **وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطبيعيين أو الإلهيين وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النور ويضمون إلى ذلك الرفض.** ويحتجون لذلك من كلام النبوات إما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: "أول ما خلق الله العقل" والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث؛ ولفظه "إن الله لما خلق العقل فقال له: أقبل! فأقبل فقال له: أدبر! فأدبر"؛ فيحرفون لفظه فيقولون "أول ما خلق الله العقل" **ليوافقوا قول المتفلسفة أتباع أرسطو في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل**؛ وإما بلفظ ثابت عن النبي ﷺ فيحرفونه عن مواضعه **كما يصنع أصحاب رسائل إخوان الصفا ونحوهم فإنهم من أئمتهم**[1].

المقصود أن موالاة الحشاشين للصليبيين أسهمت في اتساع نفوذ فرسان الهيكل. وعُرف هؤلاء الفرسان بعبادة إله يدعى «بافوميت» وهو كما ذكرت

(١) مجموع الفتاوى، ج ٣٥، ص ٩٣.

في موضع سابق روح إله الشمس «أوزيريس» وهو «كبش منديس» المعروف في الكتابات الباطنية فهو بهذا إله شمس. وهو مطابق لـ«لوسيفر» إله القباليين الباطنيين. ولذا نجد الرومي الكاثوليكي عابدَ الشيطان «إليفاس ليفي» Eliphas Levi في كتابه «**السحر الأعلى: عقائد وطقوس**» يصوره على هيئة مماثلة لـ«لوسيفر» - الشيطان[1].

إن اشتراك الفرسان والكنيسة في عبادة الشمس يؤكد أن اضطهاد الكنيسة للفرسان فيما بعد لم يكن نتيجة اختلاف في المعتقد وإنما بسبب اتساع نفوذهم؛ وهو ما سترى مثيله في تاريخ اليسوعيين وعلاقتهم بالكنيسة الرومية الكاثوليكية وموقف بعض الباباوات منهم.

أخيراً في عام ١٣٠٧م أمر ملك فرنسا «فيليب الرابع» باعتقال آخر قادتهم «جاك دي موليه» ومن معه من الفرسان المقيمين في فرنسا، وتبعه البابا «كلمنت الخامس» فأصدر مرسوماً في نفس العام يدعو ملوك أوروبا إلى اعتقالهم ومصادرة ممتلكاتهم. وفي عام ١٣١٢م في «مجمع فيان» Council of Vienne صدر مرسومان بابويان أحدهما *Vox in excelso* «صوت من العلي» جاء فيه "بقلوبٍ تملؤها المرارة والأسى نلغي تنظيم الهيكل . . . ونحرم إعادته". والآخر هو *Ad providam* الذي قضى بمنح ممتلكات «فرسان الهيكل» لـ«فرسان مالطة»[2].

هنا انتشر الفرسان في أوروبا وبدأوا يعملون في الخفاء إلى أن أعيد

(1) Levi, Eliphas. *Transcendental Magic: It Doctrine and Ritual*, p. 174.

(٢) لقراءة نصي المرسومين انظر:

http://www.piar.hu/councils/ecum15.htm#BULL2

تنظيمهم ثانية من قبل أسرة «ستيوارت» الكاثوليكية في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر تحت اسم «الماسونية» كما سيأتي.

## تنظيم «المتنوّرين»:

في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ظهر في إسبانيا تنظيم باطني آخر مرتبط بـ«فرسان الهيكل» عرف باسم «المتنوِّرين» *Illuminati* (بالإسبانية «ألومبرادو» *Alumbrado*)[1]. وكان أحدُ المتهمين بالانتماء إلى هذا التنظيم - بل تأسيسه كما يرى «جيم مارس»[2] - مؤسِّسَ اليسوعية القِدِّيس «إغناطيوس لويولا» الذي هو موضوع الفصل القادم.

(١) يسمى هذا التنظيم أحياناً «النورانيين» أو «المستنيرين»، لكن ما أثبتُّه أكثر دقة من ناحية مطابقته للتسمية الأصلية في اللاتينية *Illuminati* والإسبانية *Alumbrado*.

(2) Marrs, Jim, *Rule by Secrecy* (Harper Collins Publishers, 2001), p. 236.